الفصل الثاني

كيف تستخدم القوائم في الفصل الشامل؟

هنـاك طرائق عـدّة لاستخدام قوائم التدريس في الفصـل الشامل؛ لذلك كي تستطيع تحديـد كيفيـة تطبيق كلّ قائمـة، يجب أخذ الأسئلـة الآتية في الحسبان: مـا حجم المعرفة المسبقة التي يمتلكها الطلاب عن موضوع الدراسة قبل بدء الدرس أو الوحدة؟ ما درجة ثقة الطلاب بأنفسهم في اتخاذ الخيارات والعمل بمفردهم؟ ما حجم المعلومات المناسبة عقليًّا المتوافـرة للطلاب للعثور عليهـا بأنفسهم؟ بعد دراسة هذه الأسئلة، ستجد أنّ هناك طرائق عدّة متنوعة لاستخدام القوائم في غرفة الصف.

بناء المعرفة المسبقة

«يوجد في صفي طلاب يمتلكون خبرات كثيرة متنوعة. أحيانًا، أخصص وقتًا أطول مما خططت له؛ للمراجعة، ولتهيئة الطلاب قبل أن نبدأ».

– معلم دراسات اجتماعية للصف السابع

هناك طرائق عدّة لاستخدام القوائم في الفصل، منها طريقة، كثيرًا ما يجري تجاهلها، وهـي استخدام القوائم لمراجعـة أو بناء المعرفة المسبقة قبل بـدء الوحدة. تستخدم هذه الطريقة في الأغلب عندما تكون لدى الطلاب معرفة سابقة بالمحتوى موضوع الدراسة؛ ربما في أثناء سنوات التدريس الماضية، أو من خلال خبرات حياتية متشابهة. في الواقع، يمتلك معظم طلاب المرحلة المتوسطة المعلومات الأساسية المطلوبة لصفوفهم، لكنّ الطلاب قد لا يتذكـرون تفاصيل المحتوى إلى الحدّ الذي يمكنهـم من متابعة الوحدة اللاحقة مباشرة. لذلك، يمكن اعتماد قائمة قصيرة تتناول موضوعات السنوات الماضية في الأسابيع السابقة للوحدة الجديدة؛ لكي تتاح الفرصة للطلاب لتذكر المعلومات واستخدامها بطريقة منطقية.

عندئذٍ، سيكونون مستعدين لاستخدام معلوماتهم في مستوى أعمق في أثناء تدريس الوحدة؛ مثـلًا، قبل أسبوعيـن من بدء وحدة عن الإحصـاء، قد يختار المعلم قائمـة مختصرة عن: الوسـط، والوسيـط، والتكرار، والنسب، لعلمـه أنّ الطلاب قد أتمـوا المحتوى في الماضي؛ ولذلـك من المفترض أنهم يستطيعـون استخدام القائمة بسهولـة مستفيدين من معرفتهم السابقـة. في هذه الحالة، يعمل الطلاب على منتجاتهم من القائمة بصفتها أنشطة معتمدة وواجبـات منزليّة طـوال الأسبوعين السابقين لوحدة الإحصاء، ثـم يقدّمون المنتجات كلّها قبل بدء الوحدة. بهذه الطريقة، يكون الطلاب قد خبروا (إطار العقل للإحصاء) بمفردهم طوال أسبوعين، وأصبحوا مستعدين للتعمق في دراسة الموضوع.

الأنشطة الإثرائية والإضافية

«أردت البـدء بالسمـاح للطلاب بالاختيار في مشروعات الرواية؛ لذلك فقد اخترت قائمة تناسب كلّ نوع من الأنواع الأدبية، وقد نجح الأمر تمامًا، وعمل الطلاب على مشروعاتهم في كلّ يوم عندما تسنى لهم الوقت».

– معلم فنون اللغة للصف السادس.

يعـدّ استخدام القوائـم للأنشطة الإثرائية والإضافية من أكثـر الطرائق المنتشرة في استخـدام القوائم. فـي هذه الحالة، لا يملك الطـلاب عادة معرفة مسبقـة كافية، وربما لا تتوافر المعلومات عن الموضوع للطلاب جميعهم. سوف يستعرض المعلم القائمة والأنشطة فـي بدايـة الوحـدة، وعـادة ما يتقـدم عبر المحتـوى بالسرعـة العاديـة مستخدمًـا مواده المنهاجيـة، ويسمح للطلاب من حين إلى آخر باستخدام وقت الحصة والواجبات المنزلية؛ ليعملـوا على خيـارات القائمة لتعميق فهمهـم للدروس التي يتعلمونها. هـذه الطريقة فاعلة جـدًّا؛ حيث إنّها تتضمـن استخدامًا مباشرًا للمحتوى الذي يتناولـه المعلم؛ مثلًا، قد يشرح المعلـم القائمة في بدايـة وحدة عن الكسور آخذًا في الحسبـان أنّ الطلاب لم يكتسبوا بعد المعرفة المطلوبة كلّهـا لإتمام خياراتهم. وفي أثناء سير الوحدة، سوف يقدم المعلم مزيدًا من المحتوى، وسيكون الطلاب مستعدين للعمل على خيارات جديدة. وفي حال أراد الطلاب أن يتقدمـوا أكثر، فإنهـم بالتأكيد يستطيعون العثور على المعلومات وحدهم. ولكن هذا ليس

شرطًا، فعلى الرغم من أنّ بعض الطلاب قد يجدون صعوبة في ذلك، وسوف يبدؤون في استقصاء المفاهيم الواردة في القائمة قبل شرح المعلم لها، فإنّ طلابًا آخرين سيبدؤون في إعداد أسئلة عن المفاهيم، ويكونون مستعدين لطرحها عندما يبدأ المعلم في شرح المادة.

إنّ من شأن ذلك أن يبني قاعدة معرفية مسبقة حتى قبل البدء في مناقشة الموضوع في غرفة الصف. نحن المعلمين، نخوض معركة متواصلة لجعل الطلاب يقرؤون مبكرًا، أو أن يأتوا إلى الصف مستعدين عمليًّا للنقاش. ونحن عندما نعرض قائمة في بداية الوحدة، ونسمح للطلاب أن يكملوا المنتجات مع استمرار التدريس، فإننا نشجعهم على استقصاء المعلومات بصورة تلقائية، وأن يأتوا إلى الصف مستعدين من دون أن نجعل الإعداد متطلبًا مستقلًا.

الأنشطة التدريسية السائدة

«بناء على اقتراحك، حاولت استخدام قائمة برنامج المسابقات مع وحدة الهندسة؛ لأنه كان لدي ثلاثة أيام تدريس، فأتقنها الطلاب جيدًا واستطاعوا العمل بمفردهم. في الحقيقة أنهم تجاوبوا بصدق مع فكرة العمل باستقلالية».

– معلمة رياضيات صف ثامن.

هناك خيار آخر لاستخدام القوائم في غرفة الصف، وهو استبدال بعض الأنشطة المنهاجية التي يستخدمها المعلم لتدريس المحتوى المقرر. في هذه الحالة، قد يكون لدى الطلاب بعض المعرفة المسبقة المحدودة عن المحتوى، وتكون المعلومات معدّة لهم من بين موارد غرفة الفصل، إذ يسمح هذا الوضع للمعلم أن يختار أيّ جوانب المحتوى في حاجة إلى تدريسها للطلاب مباشرة في مجموعات كبيرة أو صغيرة، وأيّ الجوانب يمكن تعلُّمها وتعزيزها بصورة سليمة من خلال قوائم المنتج. حينها، تُصمَّم الوحدة باستخدام حصص التدريس الرسمية في مجموعات كبيرة، وحصص مجموعات صغيرة غير رسمية، وأيام خاصة بقائمة محددة يستخدم الطلاب فيها القائمة لتعزيز معرفتهم المسبقة، لجعل

هذا الخيار أكثر فاعلية، على المعلم أن يشعر بالرضا تجاه مستوى المعرفة المسبقة للطلاب واستعدادهم للعمل بمفردهم.

هنـاك تغيير آخر علـى هذه القائمة، وهـو استخدام القوائم للقيـام بأنشطة محطات تعلُّـم، حيث إن لهذه المحطـات وظائف مختلفة كثيرة في صفوف المرحلة المتوسطة. يمكن لهـذه المحطات أن تشتمـل على أنشطة تناسب العمل الفـردي لتعزيز المحتوى الذي يجري تدريسـه، أو - وهـذا أمر متداول ومتكرر في المرحلة المتوسطـة - يمكن أن تسمح للطلاب الوصـول إلى المنتجـات أو الأنشطة التي قد تشتمل على مـوارد متخصصة. هناك كثير من الصفـوف التـي قد لا تتوافر فيها المـواد أو الموارد الكافية لتنفيذ ثمانـي نسخ من النشاط ذاتـه؛ ولذلك فـإنّ توفير أنشطة مختلفة غنية بالموارد يجعـل الطلاب يتعلمون المحتوى في حين قد لا يحتاج المعلم إلا إلى تنفيذ نسخة واحدة من كلّ نشاط.

الدروس المصغرة Mini-Lessons

«توجـد فـي صفي مستويـات مختلفة كثيرة، وقـد كان استخـدام القوائم مع دروس صغيـرة طـوق نجاة لي. في الواقع، أستطيـع أن أعمل مع مجموعات صغيرة ويكون كلّ واحد في الصف سعيدًا».

- معلم رياضيات صف ثامن.

هنـاك خيار آخر للقوائم، وهـو استخدامها مع الدروس المصغـرة، ويكون دورها هنا توليـد أنشطـة الصف المرافقـة للدروس، حيث تنجـح هذه الطريقة بصـورة أفضل عندما يمتلـك معظم الطلاب مقـدارًا مماثلًا من المعرفة عـن الموضوع. يستطيـع المعلم أن يعدَّ دروسًـا مختصـرة ومقتضبـة، من خمس عشـرة إلى عشريـن دقيقة، يراجـع فيها الطلاب بسرعة الأفكار الرئيسة المألوفة لهم، ثم يجري بعد ذلك تعريفهم المحتوى بطريقة قصيرة ومختصرة. بعد ذلك، تترك للطلاب حرية اختيار نشاط من القائمة لإظهار فهمهم للفكرة. غالبًـا ما تصلح قائمـة برنامج المسابقات لطريقة التدريس هـذه؛ لأنّ الموضوعات في أول القائمـة عادة ما تفرضـ نفسها على هذه الدروس المصغرة. مـن المهم أن يمتلك الطلاب

شيئًـا من المعرفة المسبقـة بالمحتوى، أو يجيدون العمل بمفردهـم؛ لأنّ دورة الدرس تكون أقصـر في هـذا الاستخدام للقوائم؛ لهـذا فإنّ استخـدام القوائم بهـذه الطريقة يقلل من مقدار الوقت الذي على المعلمين استخدامه لتوجيه سير الدرس؛ لذلك يجب اختيار طريقة التدريـس والأمثلة كلّها بحرص شديـد، وباستخدام القوائم بهذه الطريقـة، يتفادى المعلم الجـزء الذي يتعلّق بالممارسة الحرة التـي تطبَّق على الجميع. وفي حال وجود عدد قليل من الطلاب من متدنيي التحصيل، فيمكن وضعهم في مجموعة صغيرة، وترك الطلاب الآخرين يعملـون على خياراتهم من القائمة. وهناك أمر آخـر مهم، وهو مستوى استقلالية الطلاب، فلكـي يكون هذا الاستخـدام للقوائم فاعلًا، يتعين أن تترك للطلاب حرية العمل باستقلالية لنحو نصف ساعة بعد الدرس المصغر. ولأنّ الطلاب غالبًا ما يكونون مهتمين بالمنتج الذي اختاروه، فإنّ هذه ليست قضية حرجة، ولكن يجب أخذها في الحسبان عندما يفكر المعلمون في كيفية استخدام القوائم المختلفة في فصولهم.

تقديم القوائم متعددة المستويات واستخدامها مع الطلاب

«هذا ليس عدلًا .....».

طالب مرحلة متوسطة في مكان ما من العالم في هذه اللحظة.

القوائم في هذا الكتاب نسخ متعددة المستويات للقوائم الموجودة في سلسلة التدريس المتمايز باستخدام قوائم الخيـارات؛ فعلى الرغم من أنّ الموضوعات والأهداف متشابهة، فربمـا يكون لهذه القوائم قيم مختلفة مخصصة للمهمـات نفسها، وصياغات مختلفة قليلًا للمهمـات المماثلـة، وخيارات المنتج نفسهـا في قائمة بتصميم مختلـف، أو حتى مهمات لا توجد إلا في قوائم معيّنة. إنّ هذه التغييرات البسيطة كلّها تجعل بعض القوائم مناسبة أكثر لمختلف الطلاب وفقًا لاستعدادهم واهتماماتهم ومستويات قدراتهم.

مثلمـا نعرف جميعًا، يميل طـلاب المرحلة المتوسطـة إلى مقارنـة الأجوبة والأعمال والأفـكار، وينطبـق الأمـر ذاتـه علـى اختيارهم للقوائـم. على الرغـم مـن أنّ الطلاب قد يلاحظـون الفـوارق البسيطة المذكـورة أعلاه، فإنّ هـذا الأمر لا يمثل مشكلـة عندما يعمل

الطـلاب في مجموعات قدرات، حيث يشعرون بالارتيـاح؛ لأنّ خياراتهم تختلف عن خيارات زملائهـم. إضافة إلى أنّ هذا الأمر لا يعدّ مشكلة عندما تعرض القوائم بطريقة موضوعية، حيـث يحصل كلّ واحد على قائمـة اختيرت له خصيصًا؛ ولهذا فـإنّ الطلاب قد يلاحظون بعض الفروق بين قوائمهم. على الطلاب أن يطمئنوا إلى أنّ الأرقام المستهدفة (مثل هدف 100 نقطـة التي يجـب تحقيقها للحصول على نسبة 100%) متساويـة للقوائم جميعها، وأنّ الأنشطـة التي يفضلها الطلاب كثيرًا توجد في القوائم كلّها. ويتعين على الطلاب أن يعرفوا أيضًـا أنّ هناك بديـلًا لاقتراح الخيار الحرّ في معظم القوائم؛ لهذا فإنهم إذا أرادوا حقيقة القيـام بأحـد هذه الأنشطـة الموجودة في قائمة أُخـرى في غرفة الصف، فإنـه يسمح لهم بتعبئـة نمـوذج مقترح خيـار حرّ؛ من أجـل إتمام ذلـك النشاط، من خلال تطبيـق القوائم المتدرجـة متعـددة المستويات بثقة، ومن خـلال توضيح أنّ كلّ قائمة تختـار خصيصًا لكلّ طالـب، سوف تجعـل الطلاب أكثر استعـدادًا لقبول النظام، والعمل ضمـن المحددات التي وضعتها.

بعد هذا التوضيح، قد تجد أنّ هناك بعض الطلاب الذين يقولون بلهجة طالب المرحلة الابتدائيـة الاتهاميـة «مع ذلك، فإنّ هذا ليس عدلًا!» عندما بدأت استخدام القوائم متعددة الطبقـات مع طلاب الصـف الثامن أوّل مرّة، كنت أسمع تعليقات كهذه، لكنها كانت تتلاشى بسرعـة بعد ردودي المبدئية والعملية. أجـل، إنّ الإجابة الأولى (التي لا يحبّونها دائمًا) هي أنّ العـدل لا يعنـي المساواة. أعـرف أنّ الطلاب لا يحبّون سماع هـذه الإجابة، وهذه حقيقة واضحة تصعب معارضتها. ثانيًا، لقد اعتدت تذكير الطلاب أنّ كلّ واحد منهم له جوانب قوة خاصـة به؛ لـذا فقد وزعت القوائم لتوكيد هذه الجوانب. وهنـا أيضًا يعرفون هذه الحقيقة، لكنهـم يرفضون الإقرار بها. أخيرًا، إذا كان الطلاب يظهـرون فظاظة، كنت أضطر أحيانًا إلـى استخـدام (بطاقة ولي الأمر)، ما يعنـي أنني المعلم، وأنّ لي الحـقّ بعمل ما أعتقد أنّه الأفضل للطلاب.

إنّ الخيـار الأخيـر غير قابل للمساومـة، وعلى الرغم من أنّ الطـلاب قد لا يحبذونه، لكنّهم يفهمون اللهجة ونبرة الصوت كما يعرفونها عادة في البيت.

خلاصــة القول بما يتعلق بالقوائم متعــددة الطبقات، هي أنّ الطلاب سوف يستجيبون لاستخــدام القوائم المختلفة داخل غرفة الصف بناء على كيفية تقديم المعلم لهذه القوائم وموقفــه منها. في الماضي، عندما كنت استخدم تصميمات مختلفة، كنت أشرح الصيغة أو الفــروق الواضحة بطريقــة موضوعية، مثل قول أشياء من قبيل: لقــد خلطت أشياء في هذه القائمــة، ولدي ثلاث قوائم سوف أوزعها عليكم. ســوف يتلقى كلّ واحد منكم قائمة تختلف عن قائمة زميله، ولكن مهما كانت القائمة التي ستحصلون عليها، فإنّ الأمر سيكون ممتعًا.

في أحيان أُخرى، عندما تكون القوائم متشابهة في تصميماتها ورسومها، كنت أوزعها وأردّ علــى أيّ تساؤلات في حينها. فــي الأغلب، من المحتمل جدًا أنّ الطلاب سوف يتعاملون ببساطــة مــع القائمة التي حصلوا عليها عندما تعرض الفــروق في القوائم من دون تردد، أو فتح مجال للنقاش، أو الاحتجاج.